

الكوارث والطوفان

آية من آيات الله المثلوة والمشاهدة

د. محمد بن عبدالعزيز العواجي

عضو هيئة التدريس بقسم التفسير كلية القرآن الكريم

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٨٩٠٢٧ - ٥٥٨٩٧٨٠

جوال: ٠٥٠٤٥١٢٤٤٧

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العواجي، محمد بن عبدالعزيز
الكوارث والطوفان آية من آيات الله المتلوة والمشاهدة. / محمد
عبدالعزيز محمد العواجي.. مكة المكرمة، ١٤٢٨ هـ
٦٨ ص؛ ١٧/٢٤ سم.

ردمك: ٦-٧-٩٧٣٤-٩٩٦

١- الثواب والعقاب ٢- الكوارث أ. العنوان

١٤٢٨/٣٢٣٤

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٣٢٣٤

ردمك: ٦-٧-٩٧٣٤-٩٩٦

بحث محكم ومجاز للنشر من عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة
خطاب رقم (٢٦٣) وتاريخ ١٤/٣/١٤٢٧ هـ

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ

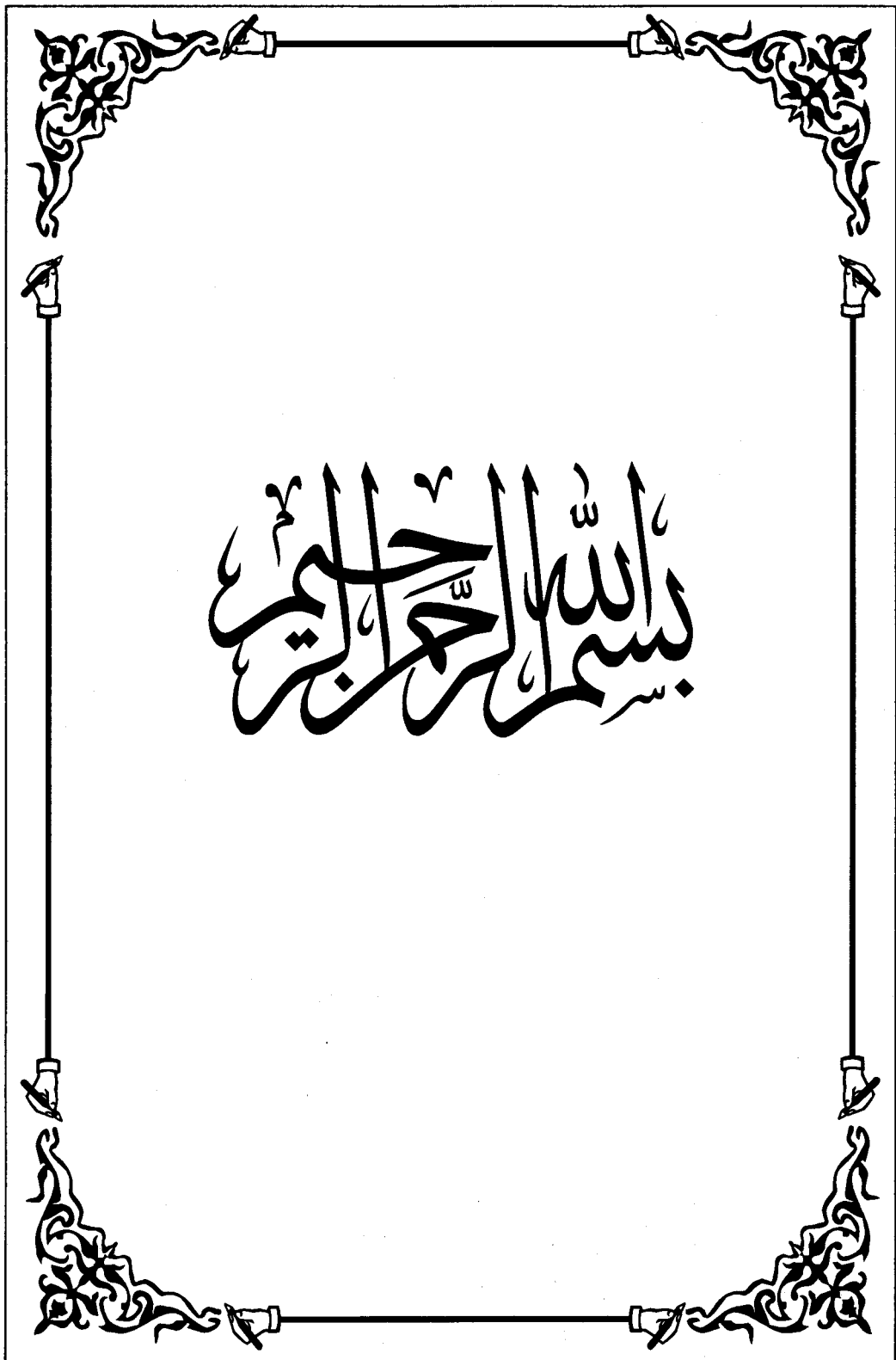
دار طيبة الخضراء للنشر والتوزيع

مكة المكرمة - العزيزية - بجوار جامعة أم القرى

جوال ٠٥٠٤٥١٢٤٤٧ هاتف: ٥٥٨٩٠٢٧ فاكس: ٥٥٨٩٧٨٠ تحويلة ١٠٢

المدينة المنورة: هاتف ٠٤٨٤٦٣٣٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك فصلوات ربي وسلامه عليه. وبعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

ثم أما بعد:

فقد طاف ببعض الأرض طائف الفيضانات والزلازل، فأحال الأمن خوفاً، والحياة موتاً، والعامر خراباً، وجعل المدينة الناضرة يباباً، وفي مثل طرفة عين وانتباهتها غير الله من حال إلى حال، فإذا ألوف القتلى، وألوف من الجرحى، وألوف من المشردين، فاستبد الألم بالجميع حتى خيل إليهم كأن القيامة قامت، فهذه أمٌ فقدت ابنها، وذاك ابن ينادي أمه، مشاهد دامية، يعجز البيان عن وصفها..

إن الماء هو أصل كل حياة، وأصل كل المخلوقات الحية على ظهر هذه

الأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فلا حياة على ظهر هذه الأرض بدون الماء. والناس عندما يعلمون بقدوم المطر يفرحون، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]. فهم فرحوا عندما اقتربت السحب!! ولكن هل هذا المطر وهذا الماء سيكون خير أم سيكون فيه عذابٌ ودمارٌ؟! ولذلك قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٤ - ٢٥].

ومن المعلوم عند علماء الطبيعة أن سبعين في المائة من مساحة الأرض مسطحات مائية على جميع أشكالها من بحار ومحيطات، وأنهار وبحيرات^(١).
ومن المعلوم عند علماء الطب والأحياء أن جسم الإنسان يحتوي على سبعين في المائة ماء بكل أشكاله أيضاً^(٢).

ومن سنة الله في هذا الكون أن جعل الماء عاملاً من عوامل الحياة والبقاء، وكذلك فإنه عامل من عوامل الفناء والهلاك، فعدم وجود الماء وقلته يسبب الفناء والهلاك، وكثرة الماء وزيادته عن حاجة الناس قد يكون

(١) الموسوعة العربية الميسرة: (٢/١٦٠٥)، سننهم آياتنا: (ص: ٣٧)، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم: (ص: ١٥٣).

(٢) سننهم آياتنا: (ص: ٣٧)، مع القرآن في الكون: (ص: ١٥٣).

سبب الهلاك والفناء أيضاً.

والماء جند من جنود الله يسلمه على أعدائه وأعداء المؤمنين، وهو جند من جنود الله ينصر الله به عباده المؤمنين على أعدائهم، ونزید أمراً ثالثاً وهو أن الماء رسالة تهديد ووعيد من الله للناس جميعاً بأنهم إذا عصوه ولم يتبعوا أمره سيحل بهم غضبه وسيرسل عليهم جنده إما بفقدان ذلك الماء فيقضي على الحرث والنسل، وإما بفيضانه الذي يؤدي في أغلب الأحوال إلى ذهاب كل أخضر ويابس وكل حياة على ظهر المنطقة التي حصل فيها الفيضان.

والهواء أيضاً هو عامل من عوامل الحياة، وقد يكون عاملاً من عوامل الفناء؛ بأن يسلمه الله على من يشاء على هيئة ریح وإعصار تقضي على الأخضر واليابس كما قال تعالى: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴿﴾ [الأحقاف: ٢٤-٢٥].

فمع كثرة الفيضانات والزلازل والأعاصير والكوارث الطبيعية في هذه الأيام، كانت هذه الدراسة في هذا الموضوع الذي أصبح كالظاهرة في هذا الوقت، حيث تكلم فيه من تكلم وخاض فيه من خاض، وظهرت التساؤلات من الناس:

• ما أسباب هذه الكوارث والفيضانات؟ ولماذا كثرت في هذا

الوقت؟

- هل هي بسبب غضب الله؟ أم أن كثرتها بسبب عوامل طبيعية؟
 - وإذا كانت الزلازل بسبب غضب الله تعالى من العصاة والمكذابين والمتبعدين عن أوامره؟ فلماذا يقع هذا الغضب على المؤمنين، الذين قد لا يملكون في هذه الدنيا إلا قليلاً؟
 - ما علاقة الزلازل والفيضانات والكوارث بالذنوب؟
 - ما الواجب علينا أن نفعله عند حدوث تلك الكوارث؟
 - ما هي العبر من الكوارث التي تقع حولنا؟
- فهذا البحث محاولة لإيجاد إجابات عن تلك التساؤلات؟ التي حار فيها الكثيرون، واجتهد في تحليلها علماء ومفكرون، فمنهم المصيبون ومنهم المخطئون، وتعثر فيها أهل الطبيعة والملاحدون الماديون.
- وذلك وفق خطة مختصرة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة:
- المقدمة: وتضمنت أهمية الموضوع ومحاوره.
- التمهيد: تضمن أن الكوارث والطوفان آية من آيات الله المتلوة والمشاهدة.

الفصل الأول: أسباب الكوارث.

الفصل الثاني: علاقة الأسباب الطبيعية بعقاب الله.

الفصل الثالث: شبهات وجوابها.

الفصل الرابع: الواجب على المسلمين عند حدوث الكوارث.

الفصل الخامس: العبرُ من الكوارث التي تحصل حولنا.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

منهجية كتابة البحث:

لقد سلكت في تسطير وصياغة هذه الورقات المنهج العلمي التالي:

- منهجية التفسير الموضوعي بنوعه المشهور "تتبع المعنى المذكور في الآيات ودراستها وتفسيرها مع مراعاة شروط المفسر أثناء عرض الموضوع".
- سلكت أسلوب المقالة في صياغة البحث "لأنه ذا طابع وعظمي تذكيري".
- التزمت ما ذكره العلماء المشتهرون في الفن في معنى الآيات على الوجه الأرجح، معرضاً عن ذكر الخلاف في ذلك بناء على منهجية هذا النوع من التفسير.
- ما صغته في معاني الآيات والاستشهاد بها فهو ممّا فهمته من جرد كتب التفسير عامّة، وعلى الأخص الكتب التالية:

١. تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير رحمته الله، ط. دار طيبة، تحقيق

سامي سلامه.

٢. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي رحمته الله، ط. دار الكتاب

العربي، لبنان.

٣. تيسير الكريم الرحمن للإمام ابن سعدي رحمه الله، ط. مؤسسة الرسالة
عناية، د. عبدالرحمن اللويحي (١٤٢٠هـ).

• لم ألتزم العزو للكتب المذكورة في كل موضع، لأن كل آية ذكرتها أو
استشهدت بها فعلى المعنى الذي ذكره، بإجمال مني وصياغة
تقتضيها منهجية المقالة العلمية الموضوعية.

• حاولت أن تكون خطوات وخطة البحث موافقة لما اتفق عليه أهل
فن "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"، وفقاً لما قيده د. زاهر
عواض الألمعي في: (دراسات في التفسير الموضوعي) ود. مصطفى
مسلم في: (مباحث في التفسير الموضوعي)، واستلهاماً مما سلكه
الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي في كتابيه: (تيسير
اللطف المنان في خلاصة تفسير القرآن) و (فتح الرحيم الملك
العلام). وإني لأرجو أن أكون وفقت لذلك.

والله أسأل الإعانة والتوفيق والسداد فلا حول ولا قوة إلا به وهو

حسبي ونعم الوكيل.

تمهيد

إن من آيات الله ما يخوف الله به عباده لعلهم يرجعون، وأن يصيبهم بعض ذنوبهم لعلهم يتقون، وأن يصيبهم بنقص من الأموال والثمرات لعلهم يتذكرون، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴾ [محمد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١].

وإن الله ﷻ حكيم عليم فيما يقضيه ويقدره، كما أنه حكيم عليم فيما شرعه وأمر به، وهو سبحانه يخلق ما يشاء من الآيات، ويقدرها تخويفاً لعباده وتذكيراً لهم بما يجب عليهم من حقه وتحذيراً لهم من الشرك به ومخالفة أمره وارتكاب نهيهِ كما قال الله سبحانه: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَءَايَاتِنَا تُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩]، وقال ﷻ: ﴿ سَتْرِihem ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [نصفت: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَّرِفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

ولا شك أن ما يحصل من الطوفان والسيول والفيضانات والزلازل والبراكين والأعاصير والصواعق المحرقة، وغيرها من الكوارث في هذه الأيام في جهات كثيرة من العالم هو من جملة الآيات التي يخوف الله بها عباده.

إن الطوفان والفيضانات والزلازل من أوضح الدلالات على عظمة الجبار تعالى، وضعف جبايرة الأرض مهما أوتوا من قوة وعلم ظاهر. كيف لا تدل على عظمة الجبار وهي في بضع ثوانٍ تهلك مئات الألوف من الناس، وتقضي على كل أخضر ويابس. ولنا في الزلزال الذي ضرب المحيط^(١) أكبر عبرة وعظة.

لقد ذكر الله لنا أمثلة من عقابه للخارجين عن الصراط المستقيم ففي القرآن الكريم قصة قوم أصابتهم الصاعقة، وقصة قوم أصابهم الفيضان وقصة قوم أصابهم الزلزال، قال تعالى عن الأمم الماضية: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

(١) المقصود به ذلك الحدث تحت المحيط الهندي، بقوة بلغت (٩.٨) درجة بمقياس ريختر، والذي هز العالم في صبيحة يوم الأحد (١٥/١١/١٤٢٥هـ)، الموافق للسادس والعشرين من ديسمبر لعام (٢٠٠٤م). والذي اشتهر باسم (تسونامي).

وكل هذه الأمثلة الإلهية أراد الله أن يعطينا بها درساً نتعظ فيه ونبتعد فيه عما يكره ﷻ من الشرك والفسوق والعصيان.

وإن الله تعالى يعطينا نموذجاً مصغراً عن ما يحدث يوم القيامة من أهوال، فإذا كانت زلزلة ثوان عملت هذا كله، فكيف بزلزلة يوم يجعل الولدان شيباً؟ إنها زلزلة هائلة تخفض وترفع وترج الأرض رجاً وتبس الجبال بساً فتجعلها هباء منبثاً. إنها زلزلة ضخمة تتحول الجبال معها إلى عهن منفوش. وتصير الأرض قاعاً نصفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. إنها زلزلة مرعبة تُحمل فيها الأرض والجبال فتُدكان دكة واحدة. إنها زلزلة مذهلة تنفض الأرض بسببها كل ما فيها نفصاً وتخرج أثقالها. وإذا نجونا من زلازل الدنيا فليس أحد منا بناج من زلزلة يوم القيامة فماذا أعددتنا لها؟ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١ - ٢].

الفصل الأول
أسباب الكوارث

الفصل الأول

أسباب الكوارث

لما هُزِم المسلمون في غزوة أحد، وقُتل منهم سبعون شهيداً، تعجَّب المسلمون كيف أصابهم ذلك وهم أهل الحق والإيمان، وعدوهم الكافر المشرك الذي يحارب الله ورسوله ﷺ، الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر؟ تعجبوا كيف انتصر الكافرون الذين يبغضهم الله تعالى ويتوعدهم بأنواع العذاب والنكال في الدنيا والآخرة؟ كيف ينتصر هؤلاء على أهل الإسلام؟ كيف يهزمون جيشاً فيه رسول الله ﷺ والمبشرون بالجنة وباقي المهاجرين والأنصار وهم السابقون الأولون الذين مدحهم الله ﷻ أعظم المدح؟ جاءهم الجواب من عند الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ﴿﴾ [آل عمران: ١٦٥ - ١٦٦].

- إن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يدلان على أن هذه الكوارث وغيرها من التغيرات الكونية إنما تصيب العباد بسبب ذنوبهم وكونها تقع لأسباب معروفة لا يخرجها عن كونها مقدره من الله سبحانه على العباد لذنوبهم فالله خالق السبب والمسببات، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿﴾ [الإسراء: ١٦].

وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: (فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ حَسَنٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ) فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: (إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَارِزُ وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ)^(١). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يكون في آخر الزمان خسف ومسح وقذف، قالت قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث)^(٢).

وعن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المثونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)^(٣).

(١) سنن الترمذي: كتاب الفتن، باب: ما جاء في علامات حلول المسخ والخسف (٢٢١٢). سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب: الخسوف (٤٠٦٠). سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٤/٢٩٣ ح ١٧٨٧).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الفتن، باب: ما جاء في الخسف (٢١٨٥). سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٩٨٧).

(٣) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب: العقوبات (٤٠١٩). وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: (١٠٦)، وصحيح سنن أبي داود: (٣٢٤٦).

وأيضاً مما يؤكد هذا المعنى النظر في خواتيم الآيات التي ختم الله بها كل قصة من قصص الأمم الهالكة، ففي خواتيمها التهديد والوعيد، والتخويف لكل من عمِلَ عَمَلٍ أَوْلَتْكَ الْأَقْوَامَ.

فقد قال تعالى في نهاية هلاك قوم نوح: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَطِبْتَنَّهُمْ أَغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ [نوح: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ وَقَوْمٌ نُوِّجَ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفرقان: ٣٧].

وقال تعالى في هلاك قوم فرعون: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴾ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٦ - ٦٧]. وقال تعالى: ﴿ فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَتِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [الاعراف: ١٣٦].

وقال تعالى عن فرعون: ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [يونس: ٨٣].

وقال تعالى لفرعون عند إهلاكه: ﴿ مَا أَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِيَدِنَا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا

مِنَ النَّاسِ عَنَّا يَأْتِيْنَا لِنُعْلِمَنَّهُمْ ﴿٩١﴾ [يونس: ٩١ - ٩٢].

وقال تعالى في هلاك قوم سبأ: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ نَّاسٍ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِيهِمْ إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

وقال عن أصحاب الجنة عندما منعوا الزكاة وقالوا: ﴿أَن لَّيَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ [القلم: ٢٤] قال عنهم: ﴿فَطَافَ عَلَيْهِمُ طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩] ثم عقب بقوله: ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣].

قال ابن كثير: "أي هذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنعم عليه ومنع حق المساكين والفقراء، وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفرًا، ولن يقف العذاب عند عذاب الدنيا فقط بل هناك عذاب في الآخرة أشد وأشق"^(١).

وقال تعالى عن الأمم الماضية: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاتَىٰ اللَّهُ بُيُوتَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

(١) تفسير ابن كثير: (٨/ ١٩٥-١٩٧) باختصار.

وقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ (٦٨) أَمْ آمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿ [الإسراء: ٦٨ - ٦٩].

فعلی هذا فإن كل ما يحدث في الوجود من الفيضانات والظوفان والزلازل وغيرها مما يضر العباد ويسبب لهم أنواعاً من الأذى، كله بأسباب الشرك والظلم والتكذيب والمعاصي، كما قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩].

إن بلاداً من بلاد الله الواسعة، كانت قائمة شاخصة، فظلم سكانها أنفسهم، فحل بهم أمر الله وستته ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَمِنْكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصاص: ٥٨].

لقد عمّ قوم نوح الغرق، وأهلكت عاداً الریح العقيم، وأخذت ثمود الصيحة، وقلبت على اللوطية ديارهم، فجعل الله عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل، يقول الله تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا

بِهِ الْأَرْضُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ [العنكبوت: ٤٠].

تلکم الذنوب، وتلکم عواقبها وما هي من الظالمين ببعيد. ما ظهرت المعاصي في ديار إلا أهلكتها، ولا فشت في أمة إلا أذلتها، ولا تخلخلت في دولة إلا أسقطتها. إنه ليس بين أحد وبين الله نسب.

- ولا يعني هذا أن أقواماً أو مجتمعات لم يصبها شيء أنها على الاستقامة كلا، ولكن الله يُمهّل حتى يعتبر الناس ولا يُمهّل قال تعالى: ﴿وَأَثَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [الأنفال: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَآ أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُمْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَا

وَاللَّيْلِ الْمَصِيرُ ﴿ [الحج: ٤٨].

- والكوارث تختلف فقد تكون فيضاناً أو زلزالاً أو حروباً أو رياحاً عاتية، وقد تكون تدهوراً في الاقتصاد وسوء للأوضاع المالية، أو تدهوراً في الأمن وقد تكون غير ذلك.

- إن الزلزال الذي وقع مؤخراً في جنوب آسيا مثلاً كان متوافقاً مع اجتماع أعداد كبيرة من السياح من النصارى وغيرهم، الذين أتوا لهذه المناطق الدافئة، هروباً من البلاد الباردة، للاحتفال بأعياد رأس السنة والميلاد - كما زعموا - فنزلوا في منتجعات على الشواطئ؛ اشتهرت بجماها الأخاذ، أتوا حاملين معهم ما يسميه بعض الناس "ثقافات وعادات اجتماعية": يشربون الخمر، ويتعري الرجال والنساء جميعاً، ويمارسون الفواحش، ويرتكبون أعمالاً قبيحة وشنيعه، مع تواطؤ الناس عامة بتيسير كل هذه الأمور لهم، وإعانتهم عليها، حباً في المال...!!.

ولما كثرت الفاحشة وعمت: نزل عليهم غضب الجبار. فجاءهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، جاءهم من المكان الذي تمتعوا به، واستنشقوا نسباته، وأكلوا من نعمه، ونعموا أبدانهم بهائه، فما أمهلهم، ولا استمهلهم، جاءهم بغتة، فلم يتركهم إلا قتيلاً، أو فقيداً، أو شريداً، ممزقين، حيارى، نادمين، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

لقد خرب الزلزال منتجعات وأقاليم، كانت تسمى جنة السياح في شرق الأرض وغربها، فتركها وغيرها دماراً بعد عمار، وأطلالاً وذكريات أليمة، زرع الحزن وقتل الفرحة: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَمِنْهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُهَا مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ﴾ [الحج: ٤٥].

ترك الناس يجمعون جثث الأحباب، والخلان، وذوي القربى، عاجزين عن دفنها لكثرتها.. جاء الزلزال وما أراد إلا الشواطيء؛ بما فيها من كبائر، فأصابها وأصاب غيرها^(١)، ومثله في قوته الهائلة - لو أصاب عمق اليابسة - لقتل ملايين من الخلق، لكن الله أراد إمهال عباده ليتذكروا ويتعظوا، فبدأ من قعر المحيط، ثم مد غضبه إلى أطرافه، فصار حالهم كما وصف الله عن عذاب قوم نوح عليه الصلاة والسلام فقال تعالى:

﴿فَفَنَحْنَا آتُونَ السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُّهِمٍّ ۝۱۱ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝۱۲ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝۱۳ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝۱۴ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ۝﴾ [القمر: ١١ - ١٥] نعم، لقد جعلها الله آية، فهل نتعظ ونعي الدرس!!.

ومع ذلك كله فقد يسلم أقوام من تلك الكوارث والعقوبات الإلهية، وذلك لا يخرج عن سببين في جملته:

الأول: أن يكون ذلك بسبب إيمانهم ودفع الله عنهم: كما قال

تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

(١) وهذا يشوم تلك المعاصي فإن العذاب إذا نزل بقوم عمّ الطالح فيهم والصالح كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم) البخاري: كتاب البيوع، باب: ما ذكر في الأسواق (٢١١٨) واللفظ له. ومسلم: كتاب الفتن، باب: الخسف بالبيت الذي يؤم البيت (٢٨٨٤).

الثاني: أن يجعل الله ذلك استدرجاً لهم: كما وصف الله حال

قريش في ذلك فقال: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ

﴿١٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا

مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩]،

وقال: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِن لَهُمْ

حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِن أَكْثَرَهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ [القصص: ٥٧].

وقال محذراً لهم من مآل الظالمين: ﴿ وَإِن كُنتُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٧٧﴾

وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٨﴾ [الصفات: ١٣٧ - ١٣٨]. وقال: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ

الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا

أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ

نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَنْفَعُكُونَ ﴿٢٤﴾ [يونس: ٢٤].

وأمر نبيه ﷺ أن يذكرهم ويعظهم بذلك: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾

إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي

أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش: ١ - ٤].

الفصل الثاني

علاقة الأسباب الطبيعية بعقاب الله

الفصل الثاني

علاقة الأسباب الطبيعية بعقاب الله

وعلى هذا فقد اتضح السبب للمؤمن، فما وقعت مصيبة إلا بذنب، ولا رفعت إلا بتوبة، لكن آتى للقاسية قلوبهم أن يفهموا هذا...!!؟، وقد حكى الله تعالى عن أمثالهم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦]. فكم أولئك الذين يرددون: أن لا علاقة بين الكوارث من فيضانات وزلازل ونحوها وبين الذنوب. وأن لا علاقة بين الزلازل وغضب الله تعالى؛ وأنها ظواهر طبيعة محضة، تحدث لأسباب فلكية، وجيولوجية ويقولون: (غضب الطبيعة، وفعل الطبيعة، وقسوة الطبيعة، وغدر الطبيعة، والطبيعة المدمرة)!!!؟

- ولكن نقول لهم من الذي خلق الطبيعة؟ وهل الطبيعة هي التي

أوجدت نفسها؟

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

[آل عمران: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ

كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٣].

فإن شيئاً من التفسير المادي الذي يعتمد على الدراسة والبحث، قد يكون صائباً في بيان سبب الزلزال، لكن السؤال الذي يجب على وسائل الإعلام وعلى غيرها أن تطرحه هو: بأمر من يحدث الزلزال؟ ومتى يحدث؟

وكيف يحدث...؟! ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وهل أغنت المراصد ومراكز الأبحاث شيئاً لما جاء أمر الله؟! كلا والله ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءَ آفَلًا مَرَدَّةً، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاٍ﴾ [الرعد: ١١].

- وأمر آخر: إن العلم الحديث قد يكشف شيئاً من أسباب الزلازل السابقة، لكنه يبقى عاجزاً عن معرفة بعض الأسباب لزلازل جديدة ويبقى العالم بكل ما أوتي من قوة عاجزاً عن تلافيتها ودفع أضرارها ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

- وأمر ثالث: هل كل سبب طبيعي واجب الوقوع؟ فمن الذي يجعل بعضها يقع وغيره يصرف عن الخلق؟ إنه الله ﷻ، مالك الملك الجبار المنتقم وهو الحليم الغفور، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

إن الفهم والتحليل الذي يقول (بفعل الطبيعة) خطأ مصادم لنصوص صريحة في القرآن والسنة، ويخالف الواقع، فقد تبين أن الكوارث إنما تصيب الإنسان والأمم لغضب الله تعالى عليها، لركوبها المعاصي، والله تعالى هو الذي يخلق الأسباب الطبيعية التي تنتج عنها تلك الفيضانات والكوارث.

الفصل الثالث
شبهات وجوابها

الفصل الثالث

شبهات وجوابها

وهؤلاء المغيرون للحقائق يتخذون للتوصل إلى مسلك قلبها ولبسها

بالباطل شبهات لا تقوم عليها أدلة^(١)، فمن تلك الشبهات ما يلي:

الشبهة الأولى:

قالوا: "إن الزلازل تصيب دولاً وأممًا متقدمة غنية، فإذا كانت هذه

الكوارث دليل غضب الله، فلم يعطيها من النعم وهو عليها غاضب؟".

فهذه الشبهة مبنية على استحالة اجتماع النعمة والنقمة في محل واحد:

شخص أو أمة.

(١) ترددت هذه الشبه وغيرها مما يدور في مغزاها أيام الحدث على السنة عدد من المذيعين ونشرت في بعض الصحف والمجلات "ومن هذه المقالات ما نشرته صحيفة "الرياض" في عددها (١٣٣٤٩) بتاريخ: (٢٩/١١/١٤٢٥هـ) بقلم رئيس تحريرها، بعنوان "الجواب غير الكافي!!" وتساءل ما هو ذنب شعوب فقيرة للغاية في شرق آسيا لكي يحل بها هذا الدمار الشامل؟ ثم قال: إن الله أكثر رافة ورحمة بعباده من أن يضعهم تحت هذه القسوة. ثم ذكر في نهاية مقاله أن هذا أمر لا يقبله العقل!! وتساءل بلغة تحريضية كنت أربأ به عنها: كيف هي أفكار هذا المتحدث مع تلامذته إذا كان هذا هو ما يقوله في هذه الواقعة؟ كما ذكر في ثنايا مقاله أن جريدة "الحياة" في عددها (١٥٢٥٧) ذكرت أن شبكة "إن بي سي" الأمريكية أوردت هذه الفتوى، وبثت مشاهد من هذا اللقاء، الذي أثار - بزعمه - استياءً كبيراً في الأوساط الأمريكية". هـ. من مقال الجواب الكافي للدكتور عبد العزيز الفوزان بالرياض.

وجمعها وأجاب عنها أيضاً د. لطف الله ملاخوجة في مقال له في موقع صيد الفوائد نشر بتاريخ

(٢٥/٤/١٤٢٦هـ).

وكذلك د. طارق الطواري في موقعه وفي صيد الفوائد.

والجواب:

أن العقل لا يمنع من اجتماع النعمة والنقمة في محل واحد، ونحن نرى هذا ونفعله، فإن من أصاب أحسنًا إليه، ومن أخطأ عاقبناه، وقد يخطئ وهو في عمل حسن، فنعاقبه على خطئه، ونثيبه على إحسانه في الوقت نفسه، وهكذا القاعدة في تعامل الأمم فيما بينها، يُعَرَف لها إحسانها وإساءتها، فتُعامل بقدر كل شيء.

أما في الشرع: فإن النصوص أشارت إلى القواعد التي يتعامل بموجبها مع خطايا البشر، وهي:

أن يعامل الناس بالعدل: وذلك بأن يثاب الإنسان والأمم على إحسانها بالنعمة، وتعاقب على إساءتها بالعقوبات، فيجتمع فيها كلا الأمرين، وهذه معاملة العدل تعم المسلمين والكافرين.

وأيضاً: أن يعامل الناس بالإمهال: وذلك بأن يجعل الله تعالى للعصاة - خصوصاً الكافرين - النعم في هذه الدنيا، ويقلبهم فيها، لكن ذلك لا يمنع من عقوبتهم في بعض الأحيان بكوارث - عظة وعبرة - وآية ذلك قوم

فرعون، كانوا في النعيم العظيم، قال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]. وقال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعَيْبُونَ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ

﴿٢٦﴾ وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فِكْهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٨].

لكن ذلك النعيم لم يكن خالصاً، بل خالطه العذاب والعقوبة، قال تعالى: ﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْتَهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨] . ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَءَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله، فاستوى جالساً ثم قال: (أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا)^(١)، فربنا لم يظلمهم وإنما عجل لهم جزاء حسناتهم في دنياهم، حتى يلقوه وليس عندهم ما يستحقون عليه الفضل والإحسان، أما المؤمن فقد ابتلاه الله في الدنيا ليكون أهلاً للفضل والإحسان في الآخرة، فسبحان ربي ما أعدله حتى مع الكافر المعاند الظالم.

الشبهة الثانية:

قالوا: "إن الزلزال ظاهرة كونية طبيعية محضة ثابتة، لا علاقة لها بأحوال الناس".

فهذه الشبهة مبنية على رفض العلاقة بين الظواهر الكونية، وأحوال

الناس.

(١) صحيح مسلم: كتاب الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء (١٤٧٩).

والجواب:

أولاً: الزلزال ظاهرة طبيعية، هذا صحيح، لكن ادعاء ثبوتها، وعدم تغييرها البتة فيه نظر، فإن خرق الظواهر الطبيعية أمر وارد، ثابت بالوقائع والأدلة، وهاكم الأدلة:

١- النار من سنتها الإحراق، لا تكاد تتخلف، ومع ذلك تخلفت في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، هنا لماذا تخلفت هذه السنة - سنة الإحراق - فصارت برداً وسلاماً على إبراهيم؟. أليس السبب هو طاعته وإيمانه وقربه من الله تعالى؟

٢- من السنن الكونية امتناع المشي على الماء بالأقدام، هذا في الأصل، لكنها انخرقت للعلاء بن الحضرمي ومن معه رضي الله عنهم جميعاً في قتال أهل البحرين حينما ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

((قال العلاء الحضرمي لأصحابه: اذهبوا بنا إلى دارين لنغزوا من بها من الأعداء فأجابوا ذلك سريعاً، فسار بهم حتى أتوا ساحل البحر ليركبوا في السفن، فرأى أن الشقة بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله؛ فافتحم البحر بفرسه وهو يدعو الله تعالى، وأمر الجيش أن يفعلوا ذلك فمشى الجيش كله على الماء كأنهم يمشون على الأرض))^(١)، فنصر الله جنده،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: (٦/١٠١ رقم ٢٩٨٠٤)، وأحمد في الزهد: (١/١٦٩)، والطبراني في الكبير: (١٨/٩٣ رقم ١٦٦٦)، وأبو نعيم في الحلية: (١/٧-٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/٣٢٦) وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات إلى أبي إسحاق. وذكره ابن كثير في البداية والنهاية: (٦/٢٣٣)، وأشار إليه ابن حجر في الإصابة: (٢/٤٩٧-٤٩٨)، وانظر منهاج السنة: (٨/١٥٥)، واقتضاء الصراط المستقيم: (١/٣٦٣)، والنبوات: (١/٥)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: (مجموع الفتاوى ١١/٢٧٩).

مع مخالفة هذه الحادثة للسنة الكونية، وأعظم منها انشقاق القمر للنبي ﷺ، ووقوف الماء كالجدار أو الجبل العظيم لموسى عليه الصلاة والسلام ومن آمن معه ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

٣ - أنا نشهد المطر في مواسم معينة، لا تكاد تتخلف، ومنذ سنوات جفت الآبار، ومات الزرع، وقل الثمر، والسبب: تخلف هطول المطر في تلك المواسم.. فهذه السنة التي تعاهدها الناس وأفوها، حتى ظنوها ثابتة لا تتغير.. قد تغيرت، والسبب: ذنوب العباد.. فإن الناس إذ ذاك لم تكن منهم المعاصي التي هي اليوم، وقد ورد في الصحيح بيان أن المطر قد يمتنع بسبب ذنوب العباد، قال ﷺ: (ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا)^(١).

فهذا علم إبطال القول "إن السنة الكونية لا تتغير بحال" بل الصحيح: أنها مطردة، ولا يستحيل عليها التغير وهي ظاهرة ثابتة في أصلها، لكن من الذي يخلق الأسباب ومسبباتها؟ أليس هو الله تعالى؟ بلى هو الله تعالى. هو يقدر هذه الكوارث أن تقع مناسبة لما تقترفه يد الإنسان من سوء.

وهو - سبحانه - الذي يجعل السبب مؤثراً فيقع وتحصل نتيجته، أو غير

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب: العقوبات (٤٠١٩). صحيح ابن ماجه: (١/٣٧٠).

مؤثر فلا يكون له أثر أو نتيجة وهما سبب واحد.

يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الاعراف: ٩٦].

ثانياً: لا يسلم لهم بأن الكوارث الطبيعية محضة، لا علاقة لها بما يفعل الناس من حسنات وسيئات.

كلا بل هي للعبرة والعظة، ولأمر يعلمها الله تعالى، فما خلق الله تعالى شيئاً، ولا قدره إلا للحكمة، وحصر الحكمة والعلة في الظواهر الطبيعية، من تَغْيِيرٍ فِي سَيْرِ الْأَرْضِ، ومواقع الجزر والقارات تَحْكَمٌ بغير دليل.

بل الدليل دل على أن الحكمة من حصول هذه الكوارث مرتبطة بالإنسان؛ الذي خلقه الله تعالى في هذه الأرض، وسخر له ما فيها: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجنات: ١٣].

فما يحدث في الأرض إنما للإنسان منه أكبر النصيب، فعزله عن أحداث الأرض: عظة وانتفاعاً؛ عزل له عن علاقته بالأرض ذاتها، وتعطيل لعقله وفكره ومساواة له بالجمادات، وهذا نقص من حق الإنسان الذي سخرت له هذه المخلوقات.

الشبهة الثالثة:

قالوا: "إذا كانت الزلازل عقوبات، فَلِمَ يصاب بها المسلمون والكافرون على حد سواء؟".

وهذه الشبهة مبنية على استحالة وقوع العقوبة ذاتها على المسلمين والكافرين.

الجواب: من وجهين:

أولاً: أن العقوبات جزاء المعاصي، والمعصية حاصلة من المسلم، ومن باب أولى الكافر، وهذه حقيقة، فليس المسلم بسالم من الخطايا، فإذا ثبت وقوع المعصية من المسلم، وتبين أن العقوبات سببها المعاصي، لم يمتنع أن يقع على المسلمين من العقوبات، مثل ما يقع على الكافرين، فهذا الجهاد ذروة سنام الإسلام يقع فيه على المسلمين من الألم ما يقع على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ثانياً: هناك فرق بين ما يصيب المؤمن وما يصيب الكافر من عقوبات: فالؤمن إذا أصيب بعقوبة عامة كزلازل أو فيضانات ونحوها، أو خاصة

كمريضٍ ونحوه، فذلك: إما أن يكون ابتلاءً لرفعة درجته في الدارين، وإما أن يكون تكفيراً لخطاياهم لينجوا من النار، قال رسول الله ﷺ: (أمتي هذه؛ أمة مرحومة، عذابها في الدنيا: الزلازل والفتن والقتل)^(١)، وهم يبعثون يوم القيامة على نياتهم فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا بالبيداء أو ببهاء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم) قلت: يا رسول الله: كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: (يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم)^(٢)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يكون في آخر الأمة خسف ومسح وقذف) قالت: قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال نعم إذا ظهر الخبث)^(٣). ولعل هذا من الأسباب في الأمر بالهجرة من ديار الكفر والفجور إلى دار الإسلام، والله المستعان.

أما الكافر فإذا أصيب بعقوبة فليس ابتلاء ولا تكفيراً، لأنه ليس من أهل الجنة فيبتلى لترتفع درجته، ولا هو ناج من النار لتكون في حقه تكفيراً،

(١) سنن أبي داود: كتاب الفتن، باب: ما يرجى في القتل (٤٢٧٨). مسند أحمد:

(٤/٤١٨ح٤١٨٤٧، ١٨٩١٧). شعب الإيمان للبيهقي: باب: في الصبر على المصائب

(٧/١٤٨ح٩٧٩٩). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٤٢٧٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب: ما ذكر في الأسواق (٢١١٨) واللفظ له. صحيح مسلم:

كتاب الفتن، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (٢٨٨٤).

(٣) تقدم تخريجه ص ١٥.

بل ما يصيب الكافر إنما هو عظة وعبرة له لعله يتقي، وعبرة وعظة لغيره لعله يتعظ ويرجع لرشده وصوابه.

أو انتقام منه جزاء جرمه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُرْبِهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨].
 ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وعلى هذا فإذا ثبت أن الزلازل عقوبة ثبت أنها متعلقة بالذنوب وبغضب الله تعالى، ويؤكد هذا ويبينه أن القرآن جزم بالعلاقة التامة بين العقوبات وبين الذنوب، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

فهذه النصوص واضحة الدلالة على: أن المصائب، وهي العقوبات التي تحل بالإنسان، سواء كانت فردية أو جماعية، سببها ما اكتسبت يد الإنسان، وكسب الإنسان إما طاعة وإما معصية، ولا ريب أن المصائب ليست بسبب الطاعة، فلم يبق إلا أنها بسبب المعصية ولا بد.

الفصل الرابع

الواجب على المسلمين عند حدوث الكوارث

الفصل الرابع

الواجب على المسلمين عند حدوث الكوارث

إن المسلم عندما تمر عليه مثل هذه الأحداث العظيمة وغيرها المتعلقة بالكون من حوله ينبغي أن تكون له وقفة تأمل واعتبار، وهذه الوقفة تنطلق من العقيدة التي رسخت في قلبه وانعكست على تصوراته للكون من حوله، وهذا هو المهم، أما أهل المناهج المادية الأرضية البحتة فإنهم ينطلقون من تصوراتهم المادية لمثل هذه الأحداث، والمسلم له منطلقاته التي يحكم بها حياته، ونظرته إلى ما حوله من الأحداث، فقلب المسلم معلق دائماً بالله، ما يرى من نعمة إلا ويعلم أنها من عند الله، وما يرى من مصيبة إلا ويعلم أنها بما كسبت يدها، وأن ربه يعفو عن كثير.

فإذا نبين لنا مما سبق علاقة الكوارث ومنها الفيضانات بالذنوب والبعد عن الله فينوجب علينا عدة أمور:

١- المسارعة بالتوبة إلى الله تعالى والاستغفار والذكر: قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]. وكما قال ﷺ عند الكسوف: (فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره)^(١).

(١) صحيح البخاري: كتاب الكسوف، باب: الذكر في الخسوف (١٠٥٩)، صحيح مسلم: كتاب

الكسوف، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف (الصلاة جامعة) (٩١٢).

٢- أخذ العظة والعبرة من الكارثة: فما وقعت إلا لتنبه الناس وتحذيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ^٤ وَعَآئِنَا لَمُودٌ^٥ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا^٦ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا^٧﴾ [الإسراء: ٥٩].

٣- الاستقامة على دين الله: قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا^٨ وَأَتَقُوا^٩ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^{١٠}﴾ [الأعراف: ٩٦].

٤- مبادرة ولاية الأمور بالأخذ على أيدي السفهاء: وإلزامهم بالحق، وتحكيم شرع الله فيهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال الله ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ^{١١} يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ^{١٢} أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ^{١٣} إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^{١٤}﴾ [التوبة: ٧١].

وقال ﷻ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ^{١٥} إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ^{١٦}﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

الَّذِينَ إِنْ مَكَانَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ^{١٧} وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ^{١٨}﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

٥- الحذر من كل ما نهى الله عنه من الشرك والمعاصي: حتى تحصل العافية والنجاة في الدنيا والآخرة من جميع الشرور، وحتى يدفع الله

عنهم كل بلاء، ويمنحهم كل خير كما قال سبحانه: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا يَتَّبِعُهُمُ الْغَيْبُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٧) ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ (١٨) ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

٦- التحذير من المجاهرة بالمعاصي: فالمجاهرة بالمنكرات جرم عظيم وسبب كبير من أسباب العذاب. فعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: (فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ) فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك؟ قال: (إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمُعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْحُمُورُ)^(١). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (يكون في آخر الزمان خسف ومسخ وقذف، قالت: قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث)^(٢).

٧- واجب العلماء والدعاة: على العلماء واجب تذكير الناس وإلقاء الكلمات في المساجد والإذاعات والقنوات الفضائية والكتابة في وسائل الإعلام المقروءة والحرص على أن ينتفع الناس بهذه الكارثة نفعا أخرويا، وعدم التلبس على الناس، برد الأسباب إلى أسباب طبيعية محضة، وعدم الوقوف بين الناس وبين أن يفهموا هذه العبرة؛ فإن هذا إضلال لهم، وقد

(١) سبق تخريجه ص ١٥.

(٢) سبق تخريجه ص ١٥.

توعد الله تعالى الذين يضلون الناس بعقوبة لم يتوعد بمثلها غيرهم، فقال

تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ٨﴾

ثَانِي عَطْفِهِ، لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ، فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ [الحج: ٨ - ١٠].

٨- واجب المسلمين جميعاً: فعلى المسلمين جميعاً أن يتقوا الله، ويتواصوا بالحق والصبر، ويأمرُوا بالمعروف ويدافعوا المنكرات، فإن هذا

هو الضمان الوحيد لسلامتهم ونجاتهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ

الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ

أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا

كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ ﴿١١٧﴾ [هود: ١١٦ - ١١٧].

٩- الالتجاء إلى الله بالدعاء والتضرع لكشف الغمة: وسؤاله

العفو والعافية قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ

وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ

وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأنعام: ٤٢ - ٤٣].

١٠- يجب على المسلم أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه: وأن

ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الواجب علينا عند حلول المصائب الصبر

والاحتساب، والرضا بقدر الله وقضائه، واحتساب مصيبتة عند الله فهو

أعظم لأجره وأنعم له في الدارين.

١١- يجب على المسلمين رحمة الفقراء والمساكين: والصدقة

عليهم لقول النبي ﷺ: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)^(١) وقوله ﷺ: (من لا يرحم لا يرحم)^(٢). ومن تلك الرحمة جمع التبرعات، وبناء المخيمات، وتوفير الطعام والشراب واللباس. وقال ﷺ: (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)^(٣) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

١٢- دور الإنقاذ والإسعاف: ويعني مجموعة من التدابير

والإجراءات لمواجهة المخاطر الواقعة والمحتملة، وما قد ينجم عنها من آثار على الناس والبيئة، والعمل على تهيئة كافة الإمكانيات، وتوفير كافة

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب: في الرحمة (٤٩٤١)، سنن الترمذي: كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في رحمة الناس (١٩٢٤). مسند أحمد: (٢/١٦٠ ح ٦٤٩٤). السلسلة الصحيحة: (٩٢٢).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٧)، صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال (٢٣١٨).

(٣) صحيح البخاري: كتاب المظالم، باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب: تحريم الظلم (٢٥٨٠).

المستلزمات الضرورية، والقيام في المشاركة وإنقاذ ونقل وتطهير وعلاج المصابين، والكشف عن هوياتهم، وحفظ الأمن في منطقة الكارثة.

١٣- عدم التشميت بأصحاب الكارثة: أو تعييرهم بما وقع، بل سؤال الله الرحمة لمسلمهم، والسكوت عن كافرهم واستغلال الحدث فيما ينفع من الكلام والوعظ والتذكير بعظمة الله قال تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

الفصل الخامس
العبر من الكوارث التي تحصل حولنا

الفصل الخامس

العبر من الكوارث التي تحصل حولنا

إن الفيضانات والزلازل لا تفرع الأبواب إلا بغتة، فعندما تتحرك الأرض بصوتها المخيف ودويها الرهيب، وعندما تتساقط الجدران وسُقُف الأبنية الشاهقة، وعندما يصبح أعلى الأرض أسفلها، وأسفلها أعلاها، في تلك اللحظة يشعر الإنسان بجلال الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

في الكوارث والفيضانات والزلازل والمصائب يعرف الناس عزَّ الربوبية وقهرها، وذُلَّ العبودية وكسرها، وأن الخلق كلهم ملكه وعبيده، راجعون إلى حكمه وتدييره، لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه، والمؤمنون على يقين أن أفعال الله ﷻ تتضمن الحكمة، وإن غابت عن عقولنا المحدودة - هذه الحكمة - في بعض الأحيان.

إن المؤمن يعتقد أن الله خالق هذا الكون، كل ما يتحرك في السماء وما تمور به الأرض، كل نسمة بشر وحركة شجر بإذن الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. لا يفعل الله شيئاً عبثاً، لا يفعل شيئاً إلا لحكمة ارتضاها، ولا يجري في الكون أمر إلا بتدييره وتقديره

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. ومن هذا نعلم أن الذي يسير الطبيعة ويسير الكون هو الله تبارك وتعالى.

وللمسلم من قبل ومن بعد الرضا الموجب لرضوان الله تعالى فإن المصائب تنزل بالبرِّ والفاجر، فمن سخط على ربه فله السخط، ومن رضي على ربه فله الرضا.

والمؤمنون يأخذون من هذه الأحداث العظة والاعتبار، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴾ [النازعات: ٢٦]. وينهلون منها الدروس التي تفتح الآذان، وتوقظ القلوب وتحرك المشاعر، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩].

فمن الفوائد التي نستفيد منها من هذه الأحداث:

١ - نستفيد من ذلك تقوى الله ﷻ والتفكر في أحوالنا وما يجري من حولنا من العبر، ولنتذكر أننا في نعمة من الله تامة، أمنٌ في أوطاننا، وصحةٌ في أبداننا، ووفرةٌ في أموالنا، وعلى يقين أن ما ندين به هو الحق، فماذا أدينا من شكر الله الواجب علينا؟ فإن الله وعد من شكره بالمزيد، وتوعد من كفر بنعمته بالعذاب الشديد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ [إبراهيم: ٧]،
ولنا في قوم سبأ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ، أَمِرُوا بالشكر فأعرضوا فأرسل الله عليهم
السيل.

٢- إن الله سبحانه يُرِي عباده من آياته ليعتبروا ويتوبوا، فالسعيد من
تنبه وتاب، والشقي من غفل واستمر على المعاصي ولم ينتفع بالآيات.

٣- إن الزلازل والفيضانات والبراكين وغيرها من الكوارث الطبيعية
آية من آيات الله يخوف الله بها عباده، يُتَنَطَّر من القلوب أن تحيا عند وقوعها
لا أن تموت، ومن النفوس أن تستنير لا أن تتناول في العمى وتصير على
الغنى وإتباع الهوى.

٤- لنحذر أن نكون كقوم فرعون؛ أرسل الله عليهم الآيات
والعقوبات ليتقوا فما انتفعوا، فانتقم منهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا
أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا
لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ [الزخرف: ٥٥ - ٥٦]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤].

٥- لنحذر أن نكون من الذين لا ينتفعون بالآيات والنذر، كما قال
تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ [المؤمنون:
٧٦]. ستكون المصائب نعمة وتنقلب المحنة منحة حين يستفاد منها في

توجيه الناس إلى الله واستدراك أيامهم بالتوبة قبل أن يُقَطَّع دونها.

٦- إن هذه الكوارث إنذار شامل لنعلم أن الحياة مؤقتة، وأن الأجل قريب مهما طال الأمل، وأن العبد عرضة في كل لحظة وأن للرحيل عن دار الدنيا.. قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

٧- إن هذه الزلازل تذكرنا بزلزال الآخرة، ولكن شتان بين زلزال الدنيا وزلزال الآخرة:

زلزال الدنيا: أرض ترتجف، ومبان تسقط، يموت من يموت، ويحيا من بقي له من عمره بقية.

أما زلزال الآخرة: ففيه تذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، ويكون الناس كالسكارى، من هول الموقف ومن الذعر، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١-٢].

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ

ذهل الناس في زلزال الدنيا من هول المنظر، وشدة الفاجعة - في قطعة محدودة - ثم ينتهي الأمر.

أما زلزال الآخرة: فالأرض كلها تُبَدَّلُ والسَّمَوَاتُ، والجبال الشاخحة تُنْسَفُ نَسْفًا، والبحار تُفَجَّرُ، وتنشق السماء وتُكْشَطُ، وتغيرات عجيبة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]. ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

لقد سمعنا في زلزال الدنيا اليسير من ذَهَلٍ من هول الفاجعة عن زوجه وأولاده، بل خرج من بيته وقد نسي ما يستر به جسده، فقد سُغِلَ بما هو أعظم.

وفي يوم القيامة: فقد صحَّ في ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيامة حُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض قال!! ﷺ يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض)^(١).

٨- ويجب على المسلم أن يستفيد من هذه الكوارث: بأن يعلم أن الكون يأنسه وجنَّه وسماهه وأرضه وكواكبه ونجومه ومخلوقاته - ما علمنا منها وما لم نعلم - إنما هي مسخرة بأمر الله يتصرف فيها كيف يشاء سبحانه، ولا معترض عليه. وعلى هذا فإن المسلم بما يحمل من عقيدة التوحيد، يعلم

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر؟ (٦٥٢٧). صحيح مسلم: كتاب الجنة،

أن الضر والنفع بيد الله، وأن ما يجري من زلازل وبراكين وأمطار وأعاصير ورياح وكسوف وخسوف إنما هي بقدر من الله لحكمة يريد بها الله، علمها البشر أو غابت عنهم. فعلى المسلم دائماً أن يتأثر قلبه بالآيات الكونية التي يراها ماثلة أمام عينيه، وهذه الآيات تذكره بالله وتحيي قلبه وتجدد الإيمان فيه وتجعله متصلاً بالله ذاكراً له، شاكراً لنعمه، مستجيراً بالله من نعمته وسخطه.

اللهم إنا نسألك أن لا تعذبنا بذنوبنا، وأن لا تعذبنا بما فعل السفهاء منا، وأن تغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا وأن تثبت أقدامنا على الحق، وأن تنصرنا على القوم الكافرين.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين، ربنا إنا ظلمنا أنفسنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا أفرغ علينا صبرنا وتوفنا مسلمين، ربنا مسنا الضر وأنت أرحم الراحمين، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون.

اللهم إنا نشكو إليك ضعفنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربنا، إلى من تكلنا؟ إلى بعيد يتجهمنا؟ أم إلى عدو ملكته أمرنا؟ إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي،

ولكن رحمتك هي أوسع لنا.

نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بنا غضبك، أو يحل علينا سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك.

لا إله إلا الله العليم الخليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش الكريم.

اللهم أنت ربنا لا إله إلا أنت، خلقتنا ونحن عبيدك ونحن على عهدك ووعدك ما استطعنا، نعوذ بك من شر ما صنعنا، نعتز بك بنعمتك علينا ونعتز بذنوبنا فاغفر لنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

سبحانك الله وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب

إليك.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

بعد هذه الجولة من الحديث عن الكوارث والطوفان، وهذا الجمع لبعض الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الأسباب المؤدية إلى تلك الكوارث، وإجابة عن بعض التساؤلات التي تدور في أذهان كثير من الناس عندما يسمعون بكارثة تحل بالأرض وبالناس، يمكن أن نستنتج ونلخص ما ذكرناه في النقاط التالية:

١- أن الإهلاك بالماء والزلازل والبراكين والأعاصير وغيرها من الكوارث الطبيعية عقوبة من الله لبعض خلقه، وجزاء لقوم على كفرهم وعنادهم وتجبرهم على الله وإعراضهم عن دينه وشرعه، وتخويف وإنذار لسائر عباده المؤمنين والغافلين لعلهم يعتبرون ويتذكرون فيرجعون إلى ربهم ودينهم، وابتلاء وتمحيص لبعض عباده لرفع درجاتهم وتمحيصاً لذنوبهم، ولبيلغهم منازل لم يكونوا ليلبغوها لو لم يمتحنوا وابتلوا، واختبار وتمحيص لإخوانهم المؤمنين لينظر الله ما هم فاعلون؟ وهل يرجعون إليه؟ أم يتكلمون على أسباب مادية!! وهل يفرجون كربة إخوانهم، أم يشمتون بهم والعياذ بالله!!

٢- أن هناك علاقة قوية بين الأسباب الطبيعية للكوارث وبين عقاب الله تعالى مع العلم الذي لا شك فيه أن الله تعالى هو خالق تلك الأسباب.

٣- أن الواجب على المسلمين عند حدوث الكوارث المسارعة بالتوبة إلى الله تعالى والاستغفار، والاتعاظ بتلك الكارثة، والاستقامة على دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحذر من كل ما يؤدي إلى عذاب

الله، كما يجب على المسلمين المسارعة في الوقوف مع المتضررين ومواساتهم بكل ما يستطيعون.

٤- هناك أمر مهم يجب التنبيه عليه وإفراده وهو عدم التهمك والاستهزاء بما يحصل للمسلمين أو للكفار، ولكن الواجب هو الترحم على مسلمهم، والسكوت عن كافرهم، وهذا لا يمنع الفرح لما يحصل للكفار من الضرر لأن ذلك يشفي الله به صدور قوم مؤمنين.

٥- ومن الفوائد القيمة التي تستفاد من هذا العرض للآيات هو أن بلاغة القرآن وكماله في معانيه بلغت الغاية، حيث يبلغها ربنا بالألفاظ القليلة على المعاني الواسعة الشاملة لصالح الدنيا والدين، والمستوعبة لحاجة الناس أمس واليوم وغداً، وحتى قيام الساعة على مختلف أجناسهم وحضاراتهم، ولذا علينا أن نمعن النظر والتأمل في آيات الله وما يشرحها من سنة رسول الله وأقوال سلف هذه الأمة كلما طرقتنا الغرائب والمسائل.

وبعد فإن هذا العرض ما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، وأسأل الله ﷻ أن يبارك في صحيحه وصوابه، وأن يعفو عن ما كان فيه من نسيان وخطأ وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون ما كتبناه حجة لنا لا علينا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث/ د. محمد بن عبد العزيز العوامي

تم تبليغه في ٣/٣/١٤٢٧هـ

طبية الطيبة

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - أحمد ابن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس تحقيق: محمد حامد الفقي - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة - ط. الثانية ١٣٦٩هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - تحقيق: علي محمد البجاوي - دار الجليل - بيروت - ط. الأولى ١٤١٢هـ.
- الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم - د. سليمان عمر قوش ط. دار الثقافة، الدوحة - الأولى ١٤٠٧هـ.
- البداية والنهاية - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء - مكتبة المعارف - بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي رحمته الله - ط. دار الكتاب العربي لبنان.
- الحلية أبي نعيم حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد ابن عبد الله الأصفهاني - دار الكتاب العربي - بيروت - ط. الأولى ١٤٠٥هـ.
- كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان - ضمن مجموع فتاوى

شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية - جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، توزيع.
الرئاسة العامة لشؤون للإفتاء ١٤٠٤ هـ.

▪ المصنف في الأحاديث والآثار - أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي
شيبه الكوفي - تحقيق: كمال يوسف الحوت - مكتبة الرشد - الرياض - ط.
الأولى ١٤٠٩ هـ.

▪ المعجم الكبير - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني -
تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ط.
الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

▪ الموسوعة الحديثية - مسند الإمام أحمد - مؤسسة الرسالة - بيروت -
ط. الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م - تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون.
▪ الموسوعة العربية الميسرة - إشراف محمد شفيق غربال - دار نهضة
لبنان للطبع والنشر - بيروت لبنان - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

▪ النبوات - أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني أبو العباس - المطبعة
السلفية - القاهرة ١٣٨٦ هـ.

▪ تفسير القرآن العظيم - إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي - تحقيق
سامي بن محمد السلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط. الأولى ١٤١٨ هـ -
١٩٩٧ م.

▪ تيسير الكريم الرحمن - للإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله
ط. مؤسسة الرسالة عناية د. عبدالرحمن اللويحق ١٤٢٠ هـ.

▪ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن - للإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله ط. وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض. الأولى ١٤٢٢هـ.

▪ جامع الترمذي - محمد بن عيسى الترمذي - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

▪ دراسات في التفسير الموضوعي - د. زاهر عواض الألمعي ط. مكتبة الرشد بالرياض. الثانية ١٤٢٢هـ.

▪ سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي - بيروت - ط. الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

▪ سننهم آياتنا - للأستاذ. عدنان السبيعي - ط. دار القلم بدمشق - الثانية ١٤٢٢هـ.

▪ سنن ابن ماجه - محمد بن يزيد بن ماجه القزويني - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

▪ سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.

- شعب الإيمان للبيهقي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١. ١٤١٠هـ.
- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. اعتناء أبي صهيب الكرمي.
- صحيح سنن ابن ماجه - محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط. الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط. الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. اعتناء أبي صهيب الكرمي.
- فتح الرحيم الملك العلام - للإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله - ط. دار ابن الجوزي عناية د. عبدالرزاق البدر. الأولى ١٤٢١هـ.
- مباحث في التفسير الموضوعي - د. مصطفى مسلم - ط. دار القلم بدمشق. الأولى ١٤١٠هـ.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي -
دار الفكر - بيروت ١٤١٢هـ.
- مع القرآن في الكون - د. محمد جمال الدين الفندي - ط. الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.
- منهاج السنة النبوية - أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني
أبو العباس - تحقيق: د. محمد رشاد سالم - مؤسسة قرطبة - ط. الأولى
١٤٠٦هـ.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٩	منهجية كتابة البحث
١١	تمهيد
١٧	الفصل الأول
١٧	أسباب الكوارث
٢٧	الفصل الثاني
٢٩	علاقة الأسباب الطبيعية بعقاب الله
٣١	الفصل الثالث
٣٣	شبهات وجوابها
٤٣	الفصل الرابع
٤٥	الواجب على المسلمين عند حدوث الكوارث
٥١	الفصل الخامس
٥٣	العبر من الكوارث التي تحصل حولنا
٥٤	من الفوائد التي نستفيدها من مثل هذه الأحداث
٦٠	الخاتمة
٦٣	قائمة المصادر والمراجع
٦٨	المحتويات